

## الدراسة الفنية للقرآن الكريم في تراث أهل العلم ( مفهومها - تاريخها - أهميتها )

د/قيطون قويدر

جامعة حمى لخضر - الوادي

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب تلقي العلماء للنص القرآني، وهو الجانب الفني الذي يهدف إلى إظهار جمالياته التعبيرية المتميزة، التي كان لها التأثير البالغ في المتلقين، وفي إعجازه الدائم؛ وذلك بالوقوف على معنى الدراسة الفنية ثم باستقراء هذا المنهج في التلقي منذ نزول القرآن الكريم إلى العصر الحديث، كما نتحدث فيه عن أهمية هذا النوع من الدراسة في إظهار مميزات وجماليات الخطاب القرآني.

### Abstract

This article aims to shed light on an important aspect of receiving scientists Qur'anic text of, the Artistic side which aims to show the aesthetics Distinct outstanding, which had a deep impact on the recipients, and the permanent likeness; and then stand on the meaning of the technical study and then extrapolating this approach in since receiving revelation of the Koran to the modern era, as we are talking about the importance of this type of study to demonstrate the advantages and aesthetics of Quranic discourse.

### 1- الفن لغة واصطلاحاً.

مما ورد في لسان العرب حول مادة ( فنن )، أن الفن واحد الفنون ، وهي الأنواع، والفن الحال والفن الصّرب من الشيء والجمع أفنان وفنون، وهو الأفتون، يقال: رعيننا فنون النبات وأصبنا فنون الأموال. افتن الحمار بأفته، واشتق بها إذا أخذ في طردها، وسوقها يمينا وشمالا على استقامة، وعلى غير استقامة، فهو يفتن في طردها أفانين الطرد، والفنون الأخلاط من الناس، وإن المجلس ليجمع فنونا من الناس: أي ناسا ليسوا من قبيلة واحدة، وفتنّ الناس جعلهم فنونا، والفتنّ الغصن.<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، د ط، دار لسان

العرب، بيروت، دت، مادة (فنن)، م2، ص1137.

وجاء في القاموس المحيط : الفنان الحمار الوحشي له فنون من العدو ، واستفتته حملته على فنون من المشي، وشعرُ فينان له أفنان وامرأة فينانة كثيرة الشعر.<sup>(1)</sup>

يتبين جليا من خلال هذا المفهوم الحسي لمادة "فن" أن في مجملها تدل على معاني التنوع والتعدد والاختلاط أيضا، وهي كما نرى مفاهيم مستمدة من البيئة الصحراوية للإنسان العربي، وإذا ما أردنا أن نبحث عن المعاني الثانية غير الحسية لهذه اللفظة فإننا نقف على ما هو قريب من هذا، فقد جاء أيضا في لسان العرب: الرجل يفنن في كلامه أي يشفق في فنّ بعد فن، ورجل مفنن يأتي بالعجائب وامرأة مفنّنة، وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين.<sup>(2)</sup>

ويقال: فنن فلان رأيه إذا لونه ولم يثبت على رأي واحد، والأفانين الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه، وافتن أخذ في فنون من القول.<sup>(3)</sup>

أما الفن اصطلاحا فهو: «كلمة مشتركة تدل على معان شتى؛ فهناك الفنون الجميلة كالرسم والموسيقى، والتصوير، وهناك فنون أخرى يتحدث عنها الناس كفن الزراعة ، وفن التجارة ، وفن الحياكة وفن الطبخ وفن الإعلام، وغير ذلك من الفنون».<sup>(4)</sup>

فالواضح من خلال هذا المفهوم الأولي لكلمة الفن اصطلاحا أن هذا المفهوم سطحي؛ إذ بقي لصيقا بالمعنى اللغوي من خلال تركيزه على التنوع والتعدد والاختلاط، فإذا ما أردنا أن ننفذ إلى معنى هذه الكلمة اصطلاحا بدقة ؛ فإننا نجد لها تعني البراعة ، والحدق ، والجمال، ولا أخال هذا المفهوم بعيدا عن المفهوم اللغوي للفظه ، الذي سبق ذكره، فحمار الوحشي ما سُمي بالفنان لأن له طرقا وأساليب شتى في قيادته لأتته، وحسب ؛ بل لأنه أيضا بارع، حدق في قيادتها على تلك الأساليب، وما سمي بالفنان أيضا لأنه يملك صنوفا من العدو أو لاختلاط ألوانه فقط، بل سُمي كذلك أيضا لما يوحي به تنوع عدوه ، واختلاط لونه من جمال وروعة.

ولو تتبعنا المعاني اللغوية لهذه المفردة لوجدناها تصب جميعها في هذا الواد، ومع ذلك فإن للفظه معنى أساسيا موحدا حتى وإن اختلف ما أضيفت إليه هو «المعالجة البارعة لوسيط (المادة الخام، ألفاظ، رخام، أصوات) ، من أجل تحقيق هدف ما»<sup>(5)</sup>

(1) - القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي، دط، دار الكتاب العربي، باب النون فصل الفاء، ج4، ص256.

(2) - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة(فنن)، م2 ، ص1137.

(3) - القاموس المحيط ، الفيروز بادي ، باب النون فصل الفاء، ج4 ، ص256.

(4) - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دط، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر، دت، ص78.

(5) - النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، تأليف جيروم ستولنتيز، إعداد فؤاد زكريا، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، 1981، ص124.

وعليه فالفن هو الحدق والمهارة التي يتمتع بهما امرؤ ما، واللذان يستطيع أن يصل بوساطتهما إلى تحقيق هدفه بعد بذل جهد.

## 2- بين الأدب والفن والدين.

الأدب لون من ألوان الفنون، بل هو أهم ألوان الفنون على الإطلاق، وتتجلى مهارة الفنان وحذقه عندما ينتج من الكلمات معرضاً للصور الفنية، ويدع عاطفته المتحفزة، وإحساسه المرهف يعملان في هذا المعرض، ويُفسح المجال لخياله أن يجوب الآفاق الجميلة.<sup>(1)</sup>

وإذا كان الفن - كما رأينا من خلال الدلالة اللغوية التي تحملها الكلمة - هو المعالجة البارعة بحدق ومهارة وجمال؛ فهو في الأدب «جودة العرض وحسن السبك وجمال الأسلوب وقوة العاطفة ونشاط الخيال».<sup>(2)</sup>

كما أن الفن ليس إنتاجاً للجمال في أي عمل فني، وإنما هو إظهار لوجوده وكشف الستار عنه، وعرضه أمام الناظرين يتذوقونه أو يتملونه، والمعيار الذي يمكن به التعرف إلى وجود الفن، وإدراك قيمته يرجع إلى التأثير الوجداني، فالوجدان هو المسرح الذي يتم به إدراك الفن، وتذوق الجمال، وعلى قدر ما في أشخاص الفنانين والأدباء من إرهاف وجداني وإحساس عاطفي؛ يكون استعدادهم لتقبل بواعث الجمال والاستجابة لها.<sup>(3)</sup>

وللفن قيمة جمالية؛ ذلك أنه شيء فطري في النفس الإنسانية، محبته مزروعة بداخلها، والميل إليه شيء أصيل فيها، فالنفوس الإنسانية السوية تواقفة إليه محبة له، أما التي لا تهتز للفن وما يحتويه من جمال وجلال فيها علة، وعليها ران يحجب عنها تذوق الفن، وهذا وللفن قيمة اجتماعية أو اقتصادية فسوف يبدو لنا الفن مهما كان لونه على أنه لون من الترف أو الضرب من التسلية، أما إذا نظرنا إليه من زاوية فنية جمالية فسنعثره حقيقة أساسية من حقائق الوجود والحياة.<sup>(4)</sup>

وبين الفن والدين علاقة متينة؛ ذلك أن الدين يجعل الفن مطية يصل بها لتحقيق أهدافه، وغرس قيمه ومبادئه في النفس الإنسانية، والتعبير القرآني هو خير من جمع ما بين هاتين القيمتين (الدين والفن) ببراعة؛ ذلك أنه يؤلف بين الغرض الديني، والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل «إنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال

(1) - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 79.

(2) - المرجع نفسه، ص 79.

(3) - المرجع نفسه، ص 79.

(4) - المرجع نفسه، ص 79.

الفنية وإدراك الجمال الفني يشي بحسن الاستعداد لتلقى التأثير الديني حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع مستوى التعبير عن العقيدة، وحين تصفوا النفس لتلقى رسالة الجمال التي تبلغ في العقيدة حد الكمال»<sup>(1)</sup>.

ذلك «أن المتذوق يبدأ بالسيطرة على الموضوع ثم يستتير الموضوع أمامه تدريجياً، وهنا تبدأ الذات في التراجع والتنحي عن امتلاك الموضوع، ويأخذ الموضوع دوره في السيطرة على المتذوق أن ينصت إلى حديث موضوع الجمال على نحو ما ينطق به وجوده الحسي ودلالاته المعنوية وشحنته الوجدانية»<sup>(2)</sup>.

ومع هذا فالحكم الجمالي على موضوع ما، هو مجرد شهادة له لا يمكنها أبداً أن تغير من طبيعته» فتاريخ الفن يثبت بوضوح، أن دلالة العمل الفني وقيمه، يمكن أن تفسر على أنحاء شتى على يد مختلف الأشخاص، وفي مختلف العصور»<sup>(3)</sup>.

وعليه يمكننا أن نخلص في آخر إلى أن الدراسة الفنية التي نقصدها هي: قراءة جمالية لموضوع ما، تستهدف استخلاص قيمته والوقوف على خصائص تميّزه وتفردّه معتمدة في ذلك على الذوق والمقارنة .

### 3- التلقي الفني للنص القرآني عند السلف لحظة نزوله.

شكل القرآن الكريم بوصفه كتاباً متميزاً، منعطفاً تاريخياً في حياة البشرية كلها، سرق الأضواء» وأخذ مكان الصدارة في حياة المسلمين منذ أن نزل من السماء؛ يرسم معالم الطريق، ويضع أساس التشريع، وينظم السلوك، ويسمو بمدارك الإنسان، فليس عجباً أن يلتف المسلمون حوله؛ ينهلون من ينابيعه، ويتظللون بظله، ويسيروا على هداه وكان طبيعياً أن يتأملوا أسلوبه، وطرق التعبير فيه، فيأخذهم الدهش، وتمتلئ قلوبهم بنور العقيدة، وتنبهر نفوسهم أمام بيانه، وهم أساطين البيان»<sup>(4)</sup>.

هذه الحيرة التي أمت بهم لما طالعوه، وتأملوه كانت نتيجة لإدراكهم بما أتوه من عواطف شاعرة، وملكات بيانية أصيلة؛ فلقد لاحظوا أنه من جنس كلامهم لكنه متفرد النظم؛ فلم يعهدوا طريقته، ولم يخطر لهم على بال، ذلك أنه «نزل في قوم بلغاء يرسلون الخطب الباردة وينظمون القصائد الرائعة، ويعقدون الندوات النقدية للموازنة بين القائلين، وحين أدهشهم القرآن بإعجازه، جعلوا يتأملون آياته

(1) - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط13، دار الشروق، بيروت، 1386هـ-1966م، ص119.

(2) - الإبداع الفني وتذوق الفنون الجميلة، علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م، ص379.

(3) - النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولنيتز، إعداد فؤاد زكريا، ص124.

(4) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: دراسة تاريخية فنية مقارنة، فتحي أحمد عامر، دط، منشأة المعارف المصرية، دت،

ويتصفحون سورة... فمن مال منهم إلى الإسلام ؛ فقد طالع نور البيان دون غطاء، ومن لَجَّ مع الباطل ؛ فقد صاول نفسه مصاولة شديدة ، حتَّى اضطر إلى الإذعان لروعة ما يسمع، وكلا الفريقين قد فهم البيان القرآني فهم الخبير المدرك ، وواجه ضيائه مواجهة الناظر البصير»<sup>(1)</sup>.

ولقد اعتاد الدارسون أن يؤرّخوا لدراسة الفنية أو الإعجاز الفني للقرآن الكريم كما يسميه البعض ، أن يبدأوا في التأريخ لهذا العلم من العصر العباسي ؛ ذلك بما احتوته الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في هذا العصر في نظريهم من لفتات فنية، ثم يقفرون مباشرة إلى العصر الحديث، والذي اشتهرت فيه الدراسات التي تركز على الجانب الفني الجمالي للقرآن الكريم، متجاوزين بذلك أهم مرحلة في نظري كانت مهذا لميلاد هذه الدراسة- الدراسة الفنية- ألا وهي مرحلة عصر النبوة ذلك «أن القوم إذ ذاك درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي القول المختلفة في بيانه، ولئن فاتهم الوقوف على المصطلحات البلاغية التي هيأ لها تتابع الزمن فيما بعد ؛ فلم يفهم في شيء جوهر هذه المصطلحات، إذ عرفوا بفطرتهم المطبوعة مكان الإيجاز والإطناب، وموضع الحقيقة والمجاز»<sup>(2)</sup>.

ولقد كان النبي ﷺ وهو أفصح الناطقين وأبلغ القائلين يتولى تفسيره ، وتوضيحه امتثالا لقول ربه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>3</sup>، فالرسول العربي بفطرتيه الصافية، وسليقته الهادية يعرف مكان الحسن في البيان ومواضع الزلل، كان يوصي بإرشادات أدبية تدل على اتجاهه الفني إذ ينهي عن التشادق والثرثرة والتفهيق وتكلف الأسجاع المرذولة حيث كان يقول: (إيايوا التشادق)، ويقول: (أبغضكم إليّ الثرثارون المتفهيقون)، ويعقب على من تكلف السجع في مخاطبته فيقول: (أسجع كسجع الكهان)<sup>(4)</sup>.

ولقد كان ﷺ يفسر ما أشكل على المسلمين ، وتعسر عليهم فهمه من آيات القرآن الكريم، وعلى هذا أيضا دأب صحابته رضي الله عنهم ، وإن أحجم بعضهم ، و تحفظ عن القول في القرآن تحرجا منه، وتهيبا، وتعظيما، فقد روى البخاري (ت. 256هـ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال <sup>(5)</sup>: (إنه ليأتي

(1) - خطوات التفسير البياني ، رجب البيومي ، د ط ، الشركة المصرية للطباعة النشر ، مصر ، 1971م ، ص 10.

(2) - المرجع السابق ، ص ن.

(3) - سورة النحل: 44

(4) - انظر :إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص203.

(5) - صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار ابن

الهيثم، القاهرة، 1425هـ/2004م، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم: 4729، ص563.

الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾<sup>1</sup>.

كما كان تفسيرهم يختلف حسب اختلاف معرفتهم بأساليب الكلام وفنون القول، إلا أنه كانت لهم نظرات تفسيرية تضمنت لفتات فنية مهمة ، مستمدة من قربهم من رسول الله ﷺ، وأنتاجة عن إعمالهم للفكر،؛ حيث أن تركيب القرآن وما يحتويه من معاني بلاغية لفت أنظار العرب الخالص فتأملوه ، فنظره بعضهم بفكره وذوقه في آية أو آيات فأصاب أو كاد، وإن كانت تلك النظرات يغلب عليها الطابع اللغوي الذي فهموه من الآية بأخصر لفظ مثل قولهم ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾<sup>2</sup>، أي غير متعرض لمعصية.<sup>(3)</sup>

فحينما نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾<sup>4</sup>، سأل عدي بن حاتم رضي الله عنه: أهما الخيطان المعروفان؟ فقال رضي الله عنه: (بل هما سواد الليل وبياض النهار)، منتقلا بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز .

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>5</sup>، شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه فقال رضي الله عنه: (ليس ذلك وإنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>6</sup>، وتفسير الظلم بالشرك على سبيل المجاز.

أما الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانت لهم وقفات مائة مهمة تنبئ عن حسهم الفني الراقي، وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه أكثر الصحابة اعتناء بلغة القرآن ، ساعده في ذلك محفوظه الواسع من تراث العرب، ومازوي عن إجاباته الشهيرة عن سؤالاتنا عن الأزرق حول بعض الألفاظ القرآنية تنطق بأبلغ الدلالة على سعة محفوظه وجودة تطبيقه.<sup>(7)</sup>

يروى ابن جرير الطبري في تفسيره قول الله ﷻ: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ

<sup>1</sup> - سورة الكهف : 105.

<sup>2</sup> - سورة المائدة : 103.

<sup>3</sup> - فجر الإسلام ، أحمد أمين، ط9، مكتبة النهضة المصرية، 1964، ص131.

<sup>4</sup> - سورة البقرة : 187.

<sup>5</sup> - سورة الأنعام : 82.

<sup>6</sup> - سورة لقمان : 13.

<sup>7</sup> - انظر هذه المناقشة في : الإلتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دط، دارالفكر، دت، ج1، ص120 وما بعدها.

فَاخْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ<sup>1</sup>، أن عمر رضي الله عنه سأل الناس عن هذه الآية، فما وجد أحدا يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئا ، فالتفت إليه وقال: تحول هاهنا لم تحقر نفسك؟ قال: هذا مثل ضربه الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيود أن يعمل أحدكم عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره، واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله فحرمه أحوج ما كان إليه .<sup>(2)</sup>

ومع هذا فإن القوم آنذاك لم يتعرضوا لقضية الإعجاز القرآني، وما كان ذلك إهمالا لشأن القرآن ، ولا تقصيرا في حقه، وإنما كان إعظاما لأمره ، وتهيبا لمقامه ، وصونا له من أن يكون غرضا للآراء والأهواء ، وميدانا للجدل والخلاف ، فقد «تهيب كثير من الصحابة والسلف ممن كانوا علماء باللغة فقهاء في الدين تفسير القرآن، وتركوا القول فيه خوف الزلل والقول فيه بالرأي والتألي على الله صلى الله عليه وسلم في الكشف عن مراده من كلامه الذي لا يعلم تأويله إلا هو تبارك وتعالى». <sup>(3)</sup>

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾<sup>4</sup>، فقال: أيسماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من الفصاحة في ذروة السنام والغارب ، يقرأ قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾<sup>5</sup>، فلا يعرفه، فيراجع نفسه ويقول ما الأب؟ ثم يقول: إن هذا تكلف منك يا بن الخطاب.<sup>(6)</sup>

ولقد كان لهذا التهيب ولتلك الرهبة أسباب كثيرة، من بينها أنهم كانوا يؤمنون إيمانا لا يداخله شك، ولا تخالطه ريبة أن هذا القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم التي أيده الله تعالى بها، لهذا فهو ليس مجالا للبحث، والخوض فيه أمر عسير لدقته وخطورته. ولعل أهم تلك الأسباب هو أنهم كانوا عرب ألسن ؛ فأدركوا بفطرتهم السليمة ، وذوقهم العربي الصحيح بلاغة القرآن وإعجازه ؛ فاستغنوا بذلك عن المسألة عن معانيه وعن الكلام فيه.

<sup>1</sup> - سورة البقرة: 266.

<sup>(2)</sup> - انظر هذه النماذج وغيرها في : خطوات التفسير البياني ، رجب البيومي ، ص 10 وما بعدها.

<sup>(3)</sup> - نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، أحمد سيد محمد عمار، ط1، دار الفكر، دمشق، 1418هـ/1998م ،

ص25.

<sup>4</sup> - سورة النساء: 85.

<sup>5</sup> - سورة عبس: 31.

<sup>(6)</sup> - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1، ص113.

و مما يدل على إدراك الناس وقتئذ لبلاغة القرآن وإعجازه إدراكا فطريا، ما روى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾<sup>1</sup>، فسجد وقال: "سجدت لفصاحته"، وسمع آخر بقراً: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾<sup>2</sup>، فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

#### 4- الدراسة الفنية للقرآن الكريم في تراث الأقدمين.

ظل القوم على طباعهم الصحيحة وألسنتهم السليمة في غنى عن الكلام في القرآن ووجه إعجازه، ولهذا لم يتكلموا في ذلك، ولم يلتفتوا إليه لأن برهانه قائم في نفوسهم إلى أن ظهر في مجتمع المسلمين المغرضون أعداء الإسلام من أهل التشكيك الذين جاهروا بالزيغ، وبالقول في القرآن، وبالذسِّ بمقالات ضالة تستهدف النيل من الإسلام وأهله ؛ بمحاولة النيل بالتشكيك في أقدس ما عندهم ، وهو القرآن العظيم.

أضف إلى ذلك تبدل أحوال العرب ، وفساد ذوقهم وألسنتهم ؛ فاستدعى الأمر أن ينفر من المسلمين رجال يذودون عن كتابهم ، ويدافعون عن حياضه ، وقد اتجهت جهودهم إلى دراسة المجاز في القرآن الكريم ، لمعرفة الاتجاهات الفنية التي انطوى عليها الخطاب القرآني ، وهذه الدراسات حتى وإن غلب عليها الطابع اللغوي ؛ إلا أنها تضمنت لمحات فنية رائعة ولمسات بيانية تدل على سلامة ذوقهم ، وحسن إدراكهم لموضع الجمال في القرآن الكريم ولقد كان «أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة (ت: 210هـ) في كتابه "مجاز القرآن"، والحق أن هذا الكتاب كان أقدم مؤلف عربي حفظه التراث خاصة بغريب القرآن، فهو أقرب إلى تفسير غريب القرآن منه إلى الكشف عن وجوه البيان فيه.

ويتناول أبو عبيدة في مجاز القرآن من فاتحة الكتاب سورة سورة، فيعرض لكل سورة شارحا ما فيها من كلمات مفسرا غريبها ذاكرة من الشعر العربي الفصيح ما يؤيد المعنى الذي فضله على غيره، وقد توسع في تصوير الخصائص التعبيرية كالدلالة بلفظ الخصوص على معنى العموم، ولفظ العموم على معنى الخصوص، وكمخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ومخاطبة الجميع مخاطبة الواحد، ومخاطبة الواحد مخاطبة الاثنين، وتنبه إلى التقديم والتأخير، والالتفات، والكناية» كما أن كتاب المجاز في زمنه المتقدم ، قد تناول بعض ما عرف أخيرا بعلم المعاني، فهو بذلك يحمل بذورا كثيرة لغراس علمي البلاغة (المعاني والبيان)، وقد اتسعت مقدمته الأولى لكثير من الأمثلة القرآنية التي توقف الدارس على أساليب العرب

<sup>1</sup> - سورة الحجر: 94.

<sup>2</sup> - سورة يوسف: 80.

في الكلام»<sup>(1)</sup>، كما اشتمل على علم العربية لعصره، إذ ضمّ أفانين مختلفة لما تدور حوله مسائل النحو واللغة، والبلاغة متجاوزة غير متفرقة، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾<sup>2</sup>، فقد أتبع الآية بتحليل بياني، وعدّها من مجاز التمثيل حين قال: «ومجاز الآية مجاز تمثيل لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساسا من البناء الذي بنوه على الكفر، والنفاق، فهو على شفا جرف، وهو ما يجرف من الأودية فلا يثبت البناء عليه»<sup>(3)</sup>.

وبعد كتاب المجاز كان كتاب "معاني القرآن" لأبي زكريا الفراء (ت 207هـ)، والذي ألم بكثير مما قاله أبو عبيدة من مسائل البيان، وهو لم يقف عند الغريب بتفسير، وتوضيح معناه، وبيان إعرابه فقط، إذ تحدّث عن تركيب الجملة القرآنية، في تقديم كلمة على أخرى، وفي خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، والانتقال من مخاطبة الشاهد إلى الغائب، وعن البعض يراد به الكل والإخبار عن الواحد بالاثنين، أو الجمع، واستعمال اللفظ في المعنى الضد وغيرها، مع وجود تلك اللمسات الفنية التي لم يخل منها كتابه «حول صياغة الآيات وتركيبها بالرغم من ولعه بالنحو والقراءات، وتلك اللمحات الفنية المنتشرة هنا وهناك في تضاعيف "معاني القرآن" كانت تدور حول محور النحو أو اللغة أو القراءة مما يدل على أنّ للرجل العالم باعا كبيرا في علم النحو والقراءات»<sup>(4)</sup>. من ذلك مثلا قوله معلقا على قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾<sup>5</sup>: «ترسم لوحة لمنظر من مناظر يوم القيامة، يثير الذعر والهلع، فهناك سماء تنشق وتتصدع، وهناك لون أحمر مزعج وهناك من يجري وتلك عناصر من عناصر الصورة التي توحى بالخوف والقلق معاودة النفس في شأن الإيمان بالله والتصديق بنبوّة النبي»<sup>(6)</sup>.

ومنه نعلم أنه (معاني القرآن)، كان خطوة تالية لخطوة ابن عباس رضي الله عنه في التفسير الأدبي، لأن ابن عباس ورجال طريقتة كانوا يعتمدون على الحس العربي في فهم النص القرآني قبل أن تخطوا العربية خطوة ما في تأليف العلوم وتدوين المعارف، أما أبو عبيدة فقد حذا حذو هذه الطبقة فاحتكم إلى لغة

(1) - خطوات التفسير البياني، رجب البيومي، ص 47.

(2) - سورة التوبة : 109.

(3) - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سركين، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 1، ص 269.

(4) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، أحمد فتحي عامر، ص 19.

(5) - سورة الرحمن : 37.

(6) - معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط 3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ 1983م، ص 223.

العرب في فهم النص والاستئناس بالشاهد، ثم انتفع مع ذلك بما تمخضت عنه الحركة الثقافية من بحوث علمية مثمرة، فقدم مجازة حافلا بأطياب اللغة والنحو والبلاغة.<sup>(1)</sup>

لكن الفراء كان له من الذوق ما أمكنه من «إدراك ما في نظم القرآن من حسن الإيقاع بين الفواصل في رؤوس الآي، وهي لمحة في موسيقى القرآن عجز عنها سابقه في التأليف ومعاصره أبو عبيدة».<sup>(2)</sup> وفي العصر نفسه كتب الجاحظ (ت 225هـ) «البيان والتبيين» و«الحيوان» و«نظام القرآن»، والمتأمل في كتابيه الأولين يرى أن الجاحظ كان ينظر في عمق إلى ما يشيع في جو النص القرآني من تأملات بعيدة المدى وإيحاءات عظيمة الخطر في مجال القول، لذلك كان «رجل التفسير البياني الأول الذي فتح أكمامه، ورسم طريقه لأن الرجل بما يضرب من أمثلة قرآنية على ما يريد من فنون البلاغة، وأساليب البيان قد جعل القرآن القمة التي تتجه إليها الأنظار السديدة عند التماس النمط العالي من الفن الرفيع، فأطال في الاستشهاد بفرائده، ووقف عند كثير من آياته محللاً شارحاً ومهتدياً إلى أسرار تفتحت مغاليقها على يديه حتى اجتمع له من ذلك أصول وافية كانت أساس البلاغة العربية الوطيدة، وعلى عمد الراسخة نهض الفن البلاغي شامخ الذرى متسع الأبهاء والأرحاب».<sup>(3)</sup>

وكتاب الجاحظ الموسوم بـ ( نظم القرآن )، كان نبعا مهما في تاريخ الدراسات القرآنية المتعلقة بالإعجاز القرآني ثم لم يلبث أن تفجرت بعده ينابيع، وإن كان هذا الكتاب مفقودا ، ولم يبق منه إلا تلك الشذرات المنبثة في كتابيه «البيان والتبيين» و«الحيوان»، وبعضهما مبعث للنظر والتأمل ، ودليل على الذوق المرهف، وبعضها جاء إشارة عابرة تحتاج إلى تمحيص وتدقيق.

قال الجاحظ معلقا على قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>4</sup>: «وليس في الجنة بكر ولا عشي، ولكنه على مقدار البكر والعشيان وعلى هذا قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾<sup>5</sup>، والخزنة الحفظة وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكنها لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به».<sup>(6)</sup>

(1) - خطوات التفسير البياني ، رجب البيومي ، ص 62.

(2) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، فتحي أحمد عامر ، ص 23.

(3) - خطوات التفسير البياني ، رجب البيومي ، ص 64.

4 - سورة مريم: 62.

5 - سورة غافر: 49.

(6) - البيان والتبيين، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة

العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ/2003م، ج 1، ص 172.

يظهر من هذا أن الجاحظ كثيرا ما يحكم ذوقه في تناول الآيات التي يتأملها وقد كان ذلك خطوة مهمة في الدراسات القرآنية» حيث أن تلك اللفات البيانية الوجيزة كانت الأساس الذي بني عليه صرح البيان العربي من بعد»<sup>(1)</sup>.

فلقد نظر الجاحظ إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فأطال النظر الفاحص ليهتدي إلى فطن بارعة في التحليل والاستنتاج كانت عون البلاغيين جميعا في كثير مما كتبه عن اللفظ والجملة والصورة» فما تحدث البلغاء عن فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام وأسرار الحذف والذكر ومواضع الإيجاز والإطناب، وجمال التشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من الأبواب إلا بعد أن عرض لهم الجاحظ فنونا متفرقة من استشفافه الذوقي لكتاب الله... لقد كان للألفاظ في إحساس الجاحظ أرواح تثقل وتخف وتعلو وتهبط وكتاب الله ميزان دقيق لهذه الخفة حين تروق في موضع فتذكر ولهذا الثقل حين ينبوا عنه المكان»<sup>(2)</sup>. إذن فنظرة الجاحظ للأسلوب القرآني كانت نظرة عقلية مجردة تتأثر بذوقه الخاص فهي نظرة ذهنية فنية في أساسها مع أنها لم تكن لها قاعدة عامة للأسلوب القرآني تندرج تحتها هذه اللفات الفنية، بل كما أسلفت كان شذرات منتشرة هنا وهناك من غير ترابط ولا اتساق، وعليه لم تكن الدلالات البلاغية في دراساته القرآنية مقصودة لذاتها لتكوّن نظرية عامة، وإنما كانت انسيابا تأثريا يفيض في بعض المواقف دون بعض.

وبعد الجاحظ يأتي تلميذه ابن قتيبة (ت 276 هـ)، الذي وضع كتابه "تأويل مشكل القرآن الكريم"، وقد تهيا لتأليفه بعد أن هضم تأليف من سبقوه كالمجاز لأبي عبيدة وبعد أن استفاد من مواقف بحوث أستاذه الجاحظ في هذا المجال، وقد تحدث عن المجاز عامة ثم عقد بابا للاستعارة وللمقلوب وللحذف والاختصار ولتكرار الكلام والزيادة فيه، وللكناية والتعريض، ولمخالفة ظاهر اللفظ معناه، «أما المعاني البلاغية عند ابن قتيبة فقد كانت شذرات تنتشر في تصانيف كتابه وخصوصا في باب التكرار والمجاز والمقلوب وهي دلالة صادقة على أنه أفاد من أستاذه الجاحظ، كما تدل على أنه صاحب بصر وذوق في حقل الدراسات القرآنية باعتبار القرآن فنا قوليا سما على سائر فنون القول وتفرد بالإعجاز في نظمه وتركيبه وبقي أسلوبه معجزة الزمان والمكان»<sup>(3)</sup>.

ويبلغ المؤلف غاية الإتقان والجودة حين يتبع لفظا واحدا من الألفاظ القرآنية ليرى كيف مضت به الاستعارة إلى شتى المعاني حيث يقول مثلا: «ومن الاستعارة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ

(1) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي أحمد عامر، ص 44.

(2) - خطوات التفسير البياني، رجب البيومي، ص 81.

(3) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي أحمد عامر، ص 67.

اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>1</sup>، يعني جنته سمّاها رحمته لأن دخولهم إياها كان برحمته، ومثله قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ<sup>2</sup>، وقد توضع الرحمة موضع المطر لأنه ينزل برحمته قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>3</sup> يعني المطر، وقال: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾<sup>4</sup> يعني مفاتيح رزقه، وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾<sup>5</sup> أي من رزق». (6)

ثم ظهر الرماني (ت. 386هـ) بكتابه "النكت في إعجاز القرآن" حيث جمع فيه ألوان جمال التعبير القرآني، وحسن تأليفه، وإحكام نظمه، وكشف فيه عن روعة الأداء، والتناسق فيما بين لفظه ومعناه، وفي مخاطبته القرآن للغرائز والشعور، وتصويره لخلجات النفس الإنسانية. وعليه «كانت دراسة فنية عميقة تتعلق بإعجاز الأسلوب القرآني، والبلاغة كفن من فنون القول؛ فقد جمع فيه روعة من قبله في نظراتهم المنتشرة في تضاعيف كتبهم حول إعجاز النظم، وزاد بما يدل على رقة حسّه، وذوقه وحصافة عقله وبعد مرماه لما وراء الصور البلاغية في القرآن من إثارة للحس، ورسم للعواطف وتشخيص للمعنى الذهني حين ينبض في عالم المرئيات». (7)

وقد تناول الرماني الآيات تناولاً فيه الأداء النفسي والأداء التصويري إذ كان أول من تكلم عن الجانب أو الأثر النفسي في الاستعارة، وعلى هذا المستوى الذي يدرك خصائص الجمال في النظم وما يتصل به، ويعي القيمة الفنية للكلمة في الجملة وللجملة في العبارة، كما تعمق في دراسة التشبيه وتناوله تناولاً ذوقياً، كما تحدث عن صور أخرى كالتلاؤم والمزاوجة والمبالغة والإيجاز، تضاف إلى تناوله الفريد والجديد للتشبيه والاستعارة، مما أضاف إلى الدراسة الفنية نمطاً جديداً متوخياً فيها الجانب النفسي والتأثير الوجداني، ولقد تنبه الرماني إلى طريقة القرآن في مخاطبة الغرائز البشرية بدقة

1 - سورة آل عمران: 107.

2 - سورة النساء: 175.

3 - سورة الأعراف: 57.

4 - سورة الإسراء: 100.

5 - سورة فاطر: 2.

(6) - تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، شرح ونشر أحمد صقر، ط3، المكتبة

العلمية، القاهرة، 1401هـ/1981م، ص110.

(7) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي أحمد عامر، ص84.

تصويره لخفايا النفس وكان النسق الفني في هذا الصدد صوراً تنبض بالحركة وتتفاعل في مجال الحس فيبرز المعنى وتتماوج الأفكار.<sup>(1)</sup>

وعليه يمكنني أن أقول أن ما قدمه الرماني، يعتبر بحق أول دراسة فنية تميزت بالدقة والوضوح، والتماسك، فتحت الباب واسعا أمام دراسات أخرى تلتها.

ومن الدراسات الجادة التي كشفت عن فنية القرآن كتاب "بيان إعجاز القرآن" للخطابي (ت. 388هـ)، حيث تحدث عن الأسلوب، فمنه البليغ الرصين الجزل ومنه الفصيح القريب السهل ومنه الجائز الطلق الرسل، ولقد تفرد الخطابي عن سابقه ومعاصره بتلك الإشارة الدقيقة إلى حقيقة الأسلوب فهو لا يعطي الأهمية للفظ وحده، ولا للمعنى وحده، ولكنه يعطيها للنظم الذي يجمع بين الأمرين فالكلام عنده يقوم بأشياء ثلاثة: 1- لفظ حامل 2- معنى به قائم 3- رباط لهما ناظم.

يقول الخطابي رادا على المعترضين على قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذُّبُّ﴾<sup>2</sup>، الذين زعموا أن كلمة (افتراس) هنا أصح من كلمة أكل إذ أن الافتراس خاص بالسباع أما الأكل فيعم كل آكل من الحيوان والإنسان: «إن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلا، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلا ولا عظما وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق يشهد بصحة ما ذكروه فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع وحكى ابن السكيت في ألفاظ العرب قولهم: أكل الذئب الشاة فما ترك منها تامورا»<sup>(3)</sup>. ثم يمضي مستشهدا بالشعر وبالحديث النبوي وهو كما نرى يتناول الفروق اللغوية مع الاستشهاد بطريقة فنية جميلة تقنع وتمتع.

وخلاصة القول أن الخطابي تمم ما بدأه الرماني وأضاف إليه بعرضه للعبارة من حيث الوحدة لفظا ومعنا ونظما، وأنه تناول الصورة البيانية معللا أسباب جمالها كاشفا عما ورائها من حيث الكلمات التي تدل عليها، وهو على تمكينه من دلالات اللغة وخصائص اللفظ، وبعرضه للأثر النفسي للآيات في آخر رسالته وإن كان قد سبق إلى هذا إلا أن ما تناوله كان دليلا مهما للمعاني الثانية وراء النظم.

(1) - المرجع نفسه، ص 90.

(2) - سورة يوسف: 17.

(3) - بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله و

زغلول سلام، ط2، دار المعارف، مصر، 1387هـ، 1968م، ص37.

وللباقلائي(ت:403هـ) أيضا بعض الإضافات المهمة التي يمكن عدّها من اللفّات الفنية المهمة في الدراسة القرآنية بما تنأثر له من آراء في: " التمهيد والانتصار والإعجاز " وإن غلب عليه الطابع الكلامي، إلا أنه تناول النظم القرآني باعتباره عملا فنيا موحدًا، إذ أظنّ في ذكر المعاني الثانية التي يستدعيها النظم القرآني كله وبإشاراته اللامعة التي تدل على فطنته وذوقه، ولولا انشغاله بالرد على المعترضين والمجادلين في القرآن لكنا قد رأينا له ما يثلج الصدر في هذا المجال.

ويتجلى ذلك في دراسته الفنية لسورتي غافر والنمل إذ أخذ يعرض آيات السورة الواحدة تلو الأخرى رابطًا بين معانيها ثم الكلمة، ثم عرض لبناء السورة جميعها.

أما الشريف المرتضى صاحب كتاب "الأمالى" فقد وقف أحيانًا إلى سرد آراء قوية في النص الواحد تختلف اتجاهًا ومشرّبًا ، وكلها موضع النظر والاعتبار، وهذه أهم ميزة في تناوله إذ تعدد الآراء وتتنوع المواقف وتكثر اللفّات.

كما يمكننا أن نعدّ أبا هلال العسكري(ت:395هـ) من الذين كانت لهم لفتات فنية في دراسة القرآن الكريم في كتابه الصناعيتين الذي نبه في مقدمته إلى أهمية علم البلاغة وأنه من العلوم الواجب تعلمها بعد معرفة الله جل ثناؤه، وقد تكلم عن الفصاحة والبلاغة والإيجاز والإطناب والتجنيس والمقابلة والمماثلة والمبالغة، مكثرا من الاستشهاد بالنصوص القرآنية في أكثر المسائل التي عالجهَا وعرض إليها كما نراه في هذا المثال معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾<sup>1</sup>

فهذه رسالة واضحة على أن الله قادر على إعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها ، لأن إعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء.<sup>(2)</sup>

ومن الذين أسهموا في هذا المجال الشريف الرضي(ت.436هـ) في كتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن ) و ( المجازات النبوية)، فقد سلك مسلكًا طيبًا في إيضاحه للصور البيانية إذ بعد بها عن التقليد والغموض مفصحا عن جوانب التعبير الملهم في كتاب الله بإيجاز كل ذلك بأسلوب راق يدل على تأثره بروعة البيان القرآني، يقول معلقًا على قوله تعالى: ﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾<sup>3</sup>: «استعارة والمراد بها أنهم تفرقوا في الأهواء واختلفوا في الآراء وتقدمتهم المذاهب

<sup>1</sup> - سورة يس : 78.

<sup>(2)</sup> - الصناعيتين"الكتابة والشعر"، أبو الهلال العسكري، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء

الكتب العربية، 1371هـ/1952م، ص18.

<sup>3</sup> - سورة الأنبياء: 93.

وتشعبت بهم الولائج ومع ذلك فجمعهم راجع إلى الله ﷻ على أحد وجهين ، إما أن يكون ذلك رجوعاً في الدنيا فيكون المعنى أنهم وإن اختلفوا في الاعتقادات صائرون إلى الإقرار بأن الله ﷻ خالقهم ورازقهم ومصرفهم ومدبرهم ، أو يكون ذلك رجوعاً في الآخرة فيكون المعنى أنهم راجعون إلى الدار التي جعلها الله تعالى مكان الجزاء على الأعمال وموفى الثواب والعقاب ، وإلى حيث لا يحكم فيهم ولا يملك أمرهم إلا الله ﷻ ، وشبه تحالفهم في المذاهب وتغرقهم في الطرائق مع أن أصلهم واحد وخالقهم واحد يقوم كانت بينهم وسائل متناسجة وعلائق متشابكة ثم تباعد تباعداً قطع تلك العلائق وشذب تلك الوسائل فصاروا أحيافاً مختلفين وأوزاعاً متفرقين»<sup>(1)</sup>.

فلقد أشبع الشريف هذه الصورة البيانية تحليلاً أظهر جمالها وكشف عن رونقها فلو « أن من كتبوا في تحليل الصور البيانية نهجوا منهج الشريف لكانت آثارهم الفنية عملاً أدبياً رائعاً ذا إمتاع ... والرجوع إلى أسلوب الشريف في التفسير البياني مما يمتع الحس ويمد اللسان»<sup>(2)</sup>، وقد تمتع الرضي بحاسة بيانية استطاع بها أن يدرك مناحي الجمال في الألفاظ فهو حينما يقرأ الآيات يتأملها بذوقه مستنبطاً العلائق الموجودة بين ألفاظها ، واقفاً عند كل ملمح من الملامح الساحرة الوضيئة.

وبمجيء عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) تدعمت الدراسات القرآنية بآراء ومواقف غاية في الأهمية بما وضع عليه يديه من لفتات مهمة نبهت الكثير من الدارسين فيما بعد إلى الكثير من المواطن الجمالية في القرآن الكريم ، خاصة في مجال الاستعارة ، إلا أن هيامه بفكرة النظم ، وشغله بها ، حرم الدراسات القرآنية من إضافات مهمة في مجال الدراسة الفنية الجمالية للقرآن الكريم ، ومع ذلك كما قلت بلمساته القليلة في ( الدلائل ) و ( الأسرار ) فتح الباب واسعاً أمام هذه الدراسة بما نشره من آراء.

ولقد كاد الرجل يصل إلى الكثير من الحقائق الفنية فالبيع كان على ضربة معول منه كما قال سيد قطب، فالدليل<sup>(3)</sup> الذي ساقه من قول الله ﷻ: ﴿ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾<sup>4</sup> ، ينبئ على

(1) - تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1374هـ - 1955م، ص232.

(2) - خطوات التفسير البياني ، رجب البيومي ، ص181.

(3) - انظر لهذا في: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمد رشيد رضا، ط2، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1419هـ 1998م، ص36.

4 - سورة هود : 44.

حس فني وعلى دقة التحليل «فإن أكثر الدارسين للبيان القرآني قد رووا غليلهم من كتابي الدلائل والأسرار فهدهم الشيخ إلى نور مبين ، وذهب المفسرون منهم بحظ وافر»<sup>(1)</sup>. وفي القرن نفسه ظهر الزمخشري (ت: 528هـ) الذي اهتدى بما قاله عبد القاهر «فالذي يقارن صنيع عبد القاهر بصنيع الزمخشري يجد الأول قد رسم الخطة وأعد المثل وبين الطريق ويجد الثاني قد تولى التنفيذ الدقيق لما رسم صاحبه؛ حيث تتبع آيات الكتاب آية آية ليوضح ما عناه الجرجاني بالنظم القرآني»<sup>(2)</sup>.

و الزمخشري صاحب بصيرة ناقد ، وذوق صقيل ، يتمتع بحس لامع وذوق حي فغطى هذا الجانب المفتقد في دراسة سابقه بدراسته التفسيرية البلاغية في (الكشاف)، حيث وقف طويلا عند الألفاظ القرآنية باحثا عن أسرارها ودفائها كاشفا عن جمالياتها، كما تحدث عن تناسب الآيات، وقد هداه هذا التأمل الطويل والنظر المدقق إلى الوصول إلى لفتات فنية بارعة، لأن الرجل كان مع تدوقه الرائق حر التفكير واسع الإدراك لا يحجر واسعا ولا يلتزم تزمنا فيما يعرض من ملامح الصورة، بل يعرضها حارة الدم قوية النبض تشرق بضياء الحياة.<sup>(3)</sup>

وبعد القرن الخامس شهدت العلوم العربية والدراسات الإسلامية جمودا قاتلا بانتشار التريديد والتقليد والتلخيص مع وجود بعض اللمحات الفنية عند الفخر الرازي (ت: 606هـ) في (مفاتيح الغيب) و(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، وإن كان عمله تلخيصا لما قاله الجرجاني والزمخشري، لتبلغ غاية الجمود مع السكاكي (ت: 626هـ) الذي أغلق عليها بمفاتيحه، ولولا بعض الرجال من مثل ابن الأثير (ت: 637هـ) صاحب (المثل السائر)، وابن أبي الإصبع (ت: 654هـ) صاحب (بديع القرآن) لفقدت الدراسات البلاغية الفنية للقرآن الكريم ملمح حياتها.

فلقد خص ابن أبي الإصبع كتابه إلى بيان ما يستحسنه من مظاهر الجمال في الأسلوب فتحدث عن كل ألوان الجمال البلاغي من استعارة وتشبيه وطباق وتجنيس وتورية وكناية وتعريض وغيرها، وقد تمتع بذوق بصير مكنه من إدراك بعض فنيات التعبير القرآن، وتجلية فرائده المتميزة، فنجده يعلق على قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>4</sup> بقوله: «وهذه فريدة أعجب من كل ما تقدم فإن لفظة خائنة بمفردها سهلة مستعملة كثيرة الجريان على الألسن ، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها

(1) - خطوات التفسير البياني ، رجب البيومي ، ص 228.

(2) - المرجع نفسه ، ص 232.

(3) - المرجع نفسه ، ص 253.

4 - سورة غافر: 19.

من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع، بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ، ولا يكاد يقع ذو فكر سليم وذهن مستقيم على شبهها، وأشبه ذلك في الكتاب العزيز لا تدخل تحت الحصر»<sup>(1)</sup>. وهناك أيضا كتاب (إعجاز القرآن) لابن الزمكاني(ت.651هـ) وإن كان عرضا لآراء عبد القاهر وترديدا لأمثله إلا أنه يمتاز عنه بالتبويب والتنسيق، وجمع المسائل المتفرقة في أبواب وفصول، وقد بحث فيه عن فنون البديع التي لم يعرض لها عبد القاهر إلا قليلا، ولم يذكرها إلا عرضا في أسرار البلاغة.<sup>(2)</sup>

تلا هذا العمل كتاب (الطراز) المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ( لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي (ت:740هـ)، والذي ألفه في عصر اكتملت فيه عناصر البحث البلاغي بعد أن انتظمت علوم البلاغة وتركزت وجهات النظر إليها وأقسامها وقواعدها وفنونها ، وقد أفاد من تلك الجهود ومن جميع المناهج ، وقد قسم كتابه ثلاثة فنون الفن الأول للمقدمات الضرورية في الموضوع، والفن الثاني لبحوث المعاني والبيان، والفن الثالث يذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها.

## 5- الدراسة الفنية للقرآن عند علماء العصر الحديث.

بعد هذا الجمود الذي ابتليت به البلاغة العربية، وتأثرت به حتما الدراسات القرآنية، أضاء فجر جديد في العصر الحديث مع كوكبة من الدارسين كان لها الأثر البالغ في توضيح الجانب الفني الجمالي للقرآن الكريم ، من ذلك (تفسير المنار) ل: رشيد رضا(ت:1354هـ.1935م)، والذي عرض فيه لألوان البلاغة المعجزة التي تستتبع ألوانا من المعاني الثنوي تبعا لاختلاف طريقة النظم، وتنوع أداء الأساليب وذكر في تفسيره عدة دلالات فنية مما يدخل في نطاق المعاني الجمالية مثل تلوين الكلام وهو ما يعرف بالالتفات، وهو أسلوب فني يكثر في القرآن الكريم جمالياته وروعته ودقته، كما ظهر محمد عبده(ت:1905م) في تفسير جزء عم وقد كان تفسيراً متميزاً لأن هدفه كان محاولة إظهار القرآن الكريم كما أنزله الله تعالى، فأعاد الدراسات القرآنية إلى عهود البلاغة العربية في أزهى عصورها» وقارئ ما بقي لدينا من تفسير الرجل يدرك العقل المنطقي في قوة التفكير وجودة الترتيب وصدق

(1) - بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق حنفي محمد شرف، ط2، دار النهضة، مصر، دت، ص287.

(2) - بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي أحمد عامر، ص263.

الاستدلال كما يدرك الفن البلاغي في رسم الصورة واختيار الكلمات وائتلاف السياق ويدرك الروح التأثيري في امتلاك النفوس وامتلاء العواطف وإشباع الوجدان»<sup>(1)</sup>.

وقد استطاع محمد عبده وأتباعه من تلاميذه كمصطفى المراغي، انتهاج طريقة جديدة كان لها الأثر في إظهار جانب فني في القرآن الكريم؛ إذ لم يعد الشرح البلاغي لديه ولدى أتباعه الكثيرين يدور في أكثر مناحيه حول تحديد التشبيه والاستعارة والكناية في دائرة البيان أو يتقيد في أكثر أموره بمصطلحات الفصل والوصل والخبر والإنشاء في دائرة المعاني؛ بل أصبح الشرح البلاغي يمس ذلك وأكثر من ذلك في دائرة الأسلوب الأدبي الواضح بأسراره السافرة بحيث تطالعك روح البلاغة وجوهرها مطالعة تشبعك وترضيك.

ولأحمد أحمد بدوي أيضا دراسة جادة، ومهمة بعنوان (من بلاغة القرآن) حيث درس المفردات ومدى تمكنها في موضعها من جملتها وقوة ربطها بأخواتها ولقد كان مهتما بالبحث عن الأساليب الفنية لتقديم جزء من الجملة على الجزء وتأخير كلمة عن كلمة وعن التعريف والتنكير وأسبابهما وعن أسباب استخدام الخبر موضع الإنشاء وكيف جعل هنا التشبيه وراق في هذا الموضوع الجنس... إلى غير ذلك، ولقد درس النص وحدة متكاملة ودرس المعاني التي حوaha النص ودرس ما بين اللفظ والمعنى من تناسب، مقسما دراسته قسمين اثنين، خص الأول لدراسة البلاغة في اللفظ والأسلوب، وخص الثاني لدراسة المعاني، وكيف يتناولها القرآن؟ وما الذي عني به من بين عناصرها؟ وكيف أبرز هذه العناصر ليؤثر في النفس الإنسانية تأثيرا خالدا؟ لأن القرآن كما يرى أحمد بدوي لا يعتمد على التفكير وحده في الإقناع بمخاطبة العقل فقط؛ بل في الوقت نفسه يشير غرائز النفس الإنسانية في وعده ووعيده وأوامره ونواهييه.

وفي العصر الحديث نشطت الحركة الأدبية نشاطا كبيرا، والتي تهتم بدراسة القرآن الكريم بالكشف عن أسرار الفنية وكنوزه الجمالية، فظهر في الجامعات العربية عدد من الدارسين أسهموا في مد هذا النوع من الدراسة بأراء طيبة وقيمة، من هؤلاء أمين الخولي الذي ألقى دروسا ثمينة في التفسير القرآني على طلبته بالجامعة، كما قدم أحاديث إذاعية جديدة تدور حول بعض المعاني القرآنية وعن طريقته في تناول النصوص القرآنية، فتقول تلميذته عائشة عبد الرحمان: « والأصل في منهج التفسير الأدبي كما تلقيته عن شيخي- أمين الخولي- هو تناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك، وهو منهج يختلف تماما عن الطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة، يؤخذ اللفظ

(1) - خطوات التفسير البياني، رجب البيومي، ص 288.

أو الآية مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية»<sup>(1)</sup>.

و لـ "محمد خلف الله" إسهام في الدراسات القرآنية إذ كان يدعو إلى دراسة النصوص القرآنية في ظل ما تمخضت عنه العلوم الحديثة من ثمار جيدة في حقول النقد والبلاغة وعلوم النفس والتربية ، والاجتماع كما له دراسة لسورة الرعد درس فيها فواصل الآيات وأشار إلى وحدة موضوع هذه السورة، وأما ناحية الجمال الفني فيها فقد ظهر حسب رأيه في ائتلاف الألفاظ مع المعاني وفي تناسب الألفاظ والأصوات، وفي اشتقاق قاموس السورة من البيئة العربية ذات الرعد والبرق والسحاب وفي المتقابلات المختلفة من أمثال الغيب والشهادة والسر والجهر .

وأما الرافي (ت.1356هـ-1937م) فهو رائد من رواد النهضة الحديثة وكتاباتته تتسم بالعمق والأصالة ومنها ما كتبه حول الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية ، والإعجاز عند الرافي إنما هو في النظم والتأليف ويمكن إيجاز آراءه فيما يأتي :

1- الكمال اللغوي : وذلك بالنزول عن التحد بمثل القرآن كله إلى عشر سور مثله مفتريات - كما زعموا- إلى سورة واحدة من مثله، ولوهم أرادوا هذه السورة الواحدة ما استطاعوها لأن إحساسهم منصرف إلى أصل الكمال اللغوي في القرآن مستغرق فيه ... فلا يرون المعارضة تكون إلا على هذا الأصل وهو شيء لا تناله القدرة .

2- التكرار: الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى الواحد في العبارات المختلفة.

3- وجه تركيبه : فإنه مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلاغ في ترتيب كل آية أخرى في النظم والبلاغة لاختلاف المعاني وتباين الأغراض .

4- أنه ليس وضعاً إنسانياً البتة فلو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العصر. القلق والاضطراب فليس فيه من الغرابة التي يكسوها البلاغ كلامهم في تجويد وصفه وحبكه إنما فيه غرابة الانسجام والسهولة التي يسيل بها القرآن .

5- سلامة أسلوبه من القلق والاضطراب فليس فيه من الغرابة التي يكسوها البلاغ كلامهم في تجويد وصفه وحبكه، إنما فيه غرابة الانسجام والسهولة التي يسيل بها القرآن .

(1) - التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1982، ج1، ص14.

6- ليس فيها بين الدفتين إلا رهبة ظاهرة وإلا أثر من التمكن يصف لك منزلة المخلوق من أمر الخالق ولا تجد من أغراضه إلا ما كان في وصفه مادة لتلك الرهبة ... ولذلك الأثر والروح.

7- ما في أسلوبه من اللين والمطاوعة على التقلب والمرونة بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة.

8- ما فيه من البلاغة والفصاحة يقتضيه اقتضاء طبيعيا بحيث يبنى هو عليها ولا تبنى هي عليه ، فكل ما فيه من مجاز وتمثيل وكفاية لا يصح في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه ولو أدت اللغة على هذا الوضع .

9- أن موسيقى ألفاظه نمط فريد ليس معروفا لهم في كلامهم ، حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه ، فإنه يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية كأنما يوقع إيقاعا لا يتلو تلاوة.

10- أنه لا يخلق على كثرة الرد وطول الدهر ، ولا تجد لذلك سرا إلا دقة النظم وإعجازه وخصائصه الموسيقية ، وتساق حروفه على أصول مضبوطة من بلاغة النغم بالجهر والهمس والمد والفن ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطا وإجازا وإفرادا وتركيبا.

11- أن القرآن الكريم انفرد بصوت الحس الذي خلق من صريحه لغتهم وهو الذي يتكون من دقة التصوير المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب بمجاذبة النفس مرة ومداهمتها منها مرة أخرى ، والتنقل بها من شأن إلى شأن حتى تتصل بالمعنى وتصبح كأنها هي التي تطلبه فتقع في أسره.

12- أنه يتلطف في تحريك المشاعر والرفق بها فلا تضيق به النفس ولا تتحولها منها ملالة.

13- أن القرآن بمادته اللغوية أصبح فوق اللغة التي يحذقها اللسن من الناس لأنها في القرآن في تركيب ممتنع أن يأتي بمثله الناس فخرجت من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم.

14- أن الحركات النحوية والصرفية في القرآن لها من حكم البلاغة والفصاحة ما للكلمات والتركيب لشدة ما بينها من تلازم واتساق.<sup>(1)</sup>

إذن فإضافات الرافعي كان لها صدق واسع وكان لها دور في دفع الدراسة الفنية للقرآن إلى العمق بأن نبه للجانب الموسيقي للقرآن من حيث الحرف واللفظ والعبارة والحركات الإعرابية، وعلاقة ذلك بالمعنى، كما نبه إلى الجانب النفسي والتأثيري في القرآن والذي صار يعرف فيما بعد بالإعجاز التأثيري.<sup>(2)</sup>

(1)- انظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 134 وما بعدها.

(2)- هناك بحث مهم بعنوان "الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم" تأليف: محمد أحمد يوسف، مجلة الشريعة الإسلامية، العدد 36،

1988 ، الكويت ، ص 17.

ول" عبد الله دراز" (ت 1377هـ 1958م) كتاب (النبأ العظيم)، وقد جعل هذا الكتاب بالحديث عن الجمال التوقيعي في توزيع الحركات والسكنات والجمال التنسيقي في وصف الحروف وتآلفها على جهة ذات توافق وانسجام كما أجاد الحديث عن خصائص الأسلوب القرآني في الفقرة التي تتناول شأنًا واحدًا ، ثم فيما بين سورة وسورة، وفي القرآن بنوع عام، وقد بسط وافيا، كما تحدث عن الإيجاز والإطناب وعن فنون أخرى من البيان معتمدا على ذوقه وفهمه متحررا من آراء سابقيه ، والكتاب مقسم إلى قسمين خص القسم الأول منه للحديث عن معنى القرآن ، وخص القسم الثاني للحديث عن مخالفة القرآن لما يعرف من أساليب عند البشر وقد توصل دراز من خلال مناقشته لهذين الأمرين إلى أن يستخلص خصائص أسلوب القرآن والتي يمكن إجمالها اختصارا في: <sup>(1)</sup>

1- القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى. وهذه خاصية انفرد بها القرآن فإن أبلغ البلغاء لا يستطيع أن يأتي بكلام لفظه قليل ومعناه واف، وإن قدر عليه مرة في موضع فإنه لا يمكن أن يكون عاما في جملة كلامه.

2- خطاب العامة وخطاب الخاصة: فالخطاب القرآني يرضى الخاصة ويفهم العامة .

3- إقناع العقل وإمتاع العاطفة : بحيث لا تغلب صفة على أخرى بأن يخاطب العقل فيقنعه ، ويؤثر في النفس فيمتعها ويشبعها.

4- البيان والإجمال: فليس في القرآن إسراف في اللفظ أو زيادة بل هناك تناسب ما بين الألفاظ وما يحتاجه المعنى دون نقص أو زيادة.

وأهم الدراسات في نظري التي أسهمت إسهاما رائعا في الدراسة الفنية للقرآن الكريم وشكلت فتحا جديدا في فهم القرآن مؤلفات سيد قطب (ت. 1966م) (مشاهد يوم القيامة) و(التصوير الفني في القرآن)<sup>(2)</sup>، حيث يعد سيد قطب الرائد لظاهرة التصوير الفني في القرآن التي تعد قاعدة أساسية للتعبير فيه فيخصص فصلا كاملا للحديث عن هذه الظاهرة القرآنية الفريدة التي تكشف عن الخصائص العامة في هذا الأسلوب المتميز، وهي تلك الخصائص التي كان القدماء كالجرجاني والزمخشري على بعد مرمى حجر من إدراكها ، فسيد قطب لم يعرض لفنون البلاغة في الأسلوب القرآني كما عرضها القدماء ولم يقصرها على المعاني والبيان والبديع ، بل نظر إليها نظرة حديثة باعتبار

(1) - انظر: النبأ العظيم ، محمد عبد الله دراز، ط4، دار القلم، الكويت، 1977، ص 103 و ما بعدها.

(2) - سيأتي الحديث إن شاء الله عن التصوير الفني في القرآن الكريم في ثنايا هذه المذكرة أثناء التعرض لفصل "سمات التصوير

الفني في آيات البعث والحشر " .

أنها فصول في باب الأسلوب فيتناول هذه الظاهرة التصويرية الأساسية التي تنم عن الخصائص العامة في أسلوب القرآن ، ثم يتناول في فصول أخرى التناسق العجيب في جو الصورة القرآنية ، وفي تماثل جزئياتها وفي توزيع هذه الجزئيات على الرقعة فيها وفي التقابل بين جزء وجزء والتنسيق بين فكرة وأخرى.

ومن أحدث الكتب في هذا المجال كتاب (الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومساءل ابن الأزرق) تأليف "عائشة عبد الرحمان" وكتابتها (التفسير البياني للقرآن الكريم) ، وقد تحدثت المؤلفة فيهما عن سمو التعبير القرآني وعن أفانينه المختلفة التي تصنع تميزه مدللة على ذلك بأمثلة تطبيقية لنصوص القرآن .

هذا باختصار حول تاريخية الدراسة الفنية وهي كما نرى مترامية الأطراف تحتاج إلى بحث مستقل لإحصائها وترتيبها فأنا لم أكثر من التمثيل خشية أن يطول الحديث وتتشعب المسائل ، فاقصرت على ذكر أهم ما يمكن أن نعهده رافدا من روافد الدراسة الفنية سواء عند القدماء أو المحدثين ، كما يحسن بي أن أنوه إلى دراسات أخرى مهمة في هذا المجال كدراسة "عبد العظيم الزرقاني " في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) ومؤلفات "عبد الكريم الخطيب" ومؤلفات "صالح فاضل السامرائي" (لمسات بيانية)، (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)، (التعبير القرآني) وغيرها.

#### 6- أهمية الدراسة الفنية للقرآن الكريم.

لا شكّ إذن أن الاعتناء بالجانب الفني في القرآن الكريم ، شكل أهم الدراسات التي اهتمت بالكشف عن بنية الخطاب القرآني وسرّ أسلوبه ، ويمكن إجمال أهم نتائج الدراسة الفنية للقرآن الكريم وأهدافها فيما يأتي

1- أنها تمكنا من الوقوف على سر الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم ، والذي أدركه العرب الأوائل الذين نزل فيهم القرآن الكريم ، فهم لم يعرفوا هذه المصطلحات البلاغية التي قننها العلماء فيما بعد ولكنهم وقفوا أمام أسلوب القرآن مبهورين متحررين وأدركوا بفطرتهم أنهم عاجزون عنه فما السر وراء ذلك ؟

2- الدراسة الفنية للقرآن الكريم هي حياة متجددة له باعثة لسحره وتأثيره إذ أن «تاريخ الفن يشيت بوضوح أن دلالة العمل الفني وقيمه يمكن أن تفسر على أنحاء شتى على يد مختلف الأشخاص وفي مختلف العصور»<sup>(1)</sup>. وهذا أمر لا ينبغي أن يؤسف له إذ أنه يدل أن في هذه الأعمال ثراء لا ينضب معينه.

(1) - النقد الفني ، دراسة جمالية وفلسفية ، جيروم ستولنتز ، إعداد فؤاد زكرياء ، ص 124.

3- الدراسة الفنية أحسن وسيلة لإيصال معاني القرآن وأحكامه خاصة في العصر الحالي واللغة العربية تعاني من أهلها جفاء كبيرا جعلهم ضعافا في التحكم فيها .

4- الدراسة الفنية باعتبارها وقفات لاستخلاص الجمال القرآني تمكن من الاستمتاع بالأسلوب القرآني مما يهيئ إلى إمكانية التأثير على سامعه وقارئه حيث أن القرآن يجعل الجمال الفني مطية مقصودة للتأثير الوجداني ، كما أن «دراسة تركيب الفن تتيح لنا أن نستخلص هذه العناصر ونقدر أهميتها، وفضلا عن ذلك فمن الممكن أن تؤدي دراستنا إلى زيادة استمتاعنا بالفن... حتى تصبح أكثر حساسية لكل ما هو متضمن بوفرة في العمل وبذلك يزداد الإبصار الجمالي حدة وبالتالي تزداد التجربة الجمالية إمتاعا».<sup>(1)</sup>

---

<sup>(1)</sup> - المرجع نفسه ، ص322.